

القسم الأول

كيف يتعلم الإنسان اللغة؟

﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ
السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٨].

الموضوع الأول

السكاكيني وتصوّره الساذج لمراحل تطوّر اللغة العربيّة^(١)

استغربت قبول أستاذنا الدكتور عبد الرحمن ياغي.. برأى الأستاذ المرحوم خليل السكاكيني حول تطوّر اللّغة العربيّة. وذلك في مقالته المنشورة في جريدة الرأى السيّاة ليوم الجمعة ١٠/١١/٢٠٠٠م في الصفحة السادسة والعشرين من القسم الأدبيّ في الجريدة. السكاكيني يقول: إنّ اللّغة العربيّة مرّت، في تطوّرها، بثلاث مراحل: المرحلة الأولى: مرحلة قرينة «المعنى» أي: أنّ المعنى هو الذى يُحدّد العلاقة بين الكلمات. فإذا قلنا مثلاً «الحجر قد كسر الزجاج» فهم أنّ الحجر هو الكاسر والزجاج هو المكسور. فليس من المعقول أنّ يكسر الزجاج الحجر. وفي هذه المرحلة لم يُفكر العربى بحركات الإعراب، فقد يرفع الحجر وقد ينصبه وقد يجزّه. وقد يرفع الزجاج أو ينصبه أو يكسره.. كذلك. والمرحلة الثانية: مرحلة قرينة «الترتيب» وهى أنّ يأتى الفاعل، مثلاً، قبل المفعول مثل «هَجَرَ موسى عيسى» فالهاجر هو موسى والمهجور هو عيسى. أى الفاعل هو موسى والمفعول هو عيسى.

أما المرحلة الثالثة: فكانت عندما اتّسعت فيها اللّغة وتعمّدت فيها الحياة العربيّة. فهاذا يفعلون في هذه المرحلة التى لم تعدّ فيها قرينة المعنى كافيةً ولا قرينة الترتيب؟ «حينئذ.. لجأوا - كما يقول الدكتور عبد الرحمن ياغي - إلى (مشروع التّشكيل)! تشكيل أواخر الكلمات، بل وأواسطها وسائر حروفها).

وهذه المراحل مقبولة «نظرياً» لكاتب يجلس وراء مكتبه، ويأخذ يُفكر في كيفية تطوّر اللّغة العربيّة حتى وصلت إلى تشكيل أواخر الكلمات بل وتشكيل بُنية الكلمة كاملة! ولكنّها.. غير مقبولة «واقعيّاً» لأنّ النصوص التى بين أيدينا منذ المهلهل وامرئ القيس لا تُسعفنا على قبول هذا التّصوّر. فامرؤ القيس جاء شعره مُعرّباً إعراباً كاملاً، أو مُحركاً الأواخر حسب ما هو معروف في الإعراب الذى استخرجه النحاة من استقراء النصوص من امرئ القيس حتى منتصف القرن الثانى فى الحواضر، وحتى نهاية القرن الرابع

(١) كتبت سنة - ٢٠٠٠م.

فى البوادى. وكذلك.. كانت بنى الكلمات محرّكة فى هذه النُصوص المُختلفة أو فى المُشافهات المُتعدّدة.

ولأننا لم نجد فى الحفريات نُصوصا للغة العربيّة، يُمثّل قسم منها المرحلة الأولى، وقسم المرحلة الثانية.. سواءً كانت مكتوبة على رقائق أو رقائق أو مكتوبة على حجارة. لو وُجد حجرٌ أو حجارةٌ قد كتبت عليها جُمَل كجملة: الحجر قد كسر الزجاج.. لقلنا: إن هذه المقولة تعتمد على شيء مكتوب. ولكنه لم يوجد شيء من ذلك. ثم.. هل الحياة قائمة على الأشياء الماديّة وحدها كالحجر والزجاج أم أنّ هناك جانبا عاطفيا قائما فى حياة الإنسان منذ أن وُجد على الأرض. أمّا هبط آدمٌ وحواءٌ عليهما السّلام، وهما مُتحابان متعاطفان؟ منذ أن أكلا من الشجرة المحرّمة وبدت لهما سوءاًئهما (أى أصبحا يشعران بالجنس، لأنّ العورة بلا جنس ليست عيبا يجب إخفاؤه). هل يعتقد أن يتفاهما على الحجر والزجاج.. الزجاج الذى لم يُعرف إلّا بعد رحيلهما عن هذه الدنيا بأدهار.. قبل أن يتفاهما على الحب الذى كان يجمع بينهما؟ قد يقال: إنهما كانا يتفاهمان عملياً.. ولكننى لا أصدّق أنهما ما كانا يضيفان إلى الجانب العمليّ بعض الألفاظ العاطفيّة المعنويّة.

- ومثّل آدمٌ وحواء.. البشرُ الذين جاؤوا بعدهما. ومثّل هؤلاء البشر.. العربُ فى الجزيرة العربيّة. إنّ نظريّة الانتقال، فى حياة البشر، من المرحلة الماديّة إلى المرحلة المعنويّة ثم إلى الجمع بين المرحلتين.. لا تعبّر عن طبيعة الإنسان. فالإنسان منذ أن وُجد على وجه الأرض وهو ذو طبيعة «معقّدة» فيها الجانب المادى وفيها الجانب العقليّ وفى الجانب العاطفيّ. ولا بدّ أنه كان يُعبّر عن هذه الجوانب بالإشارة أحيانا وبالكلام أحيانا أخرى. بل إنّ الإشارة فى الأشياء الماديّة «دالّة» أكثر من الإشارة فى الأشياء العاطفيّة والمعنويّة، مما يدفعه دفعا إلى الوسيلة اللّغوية التى تعبّر عن العاطفة والعقل.. تعبيرا ما. ومع أن نسبة المعنويات أقلّ فى بدايات الحياة - بيّد أنها ليست منعدمة.

- ونحن لا نصدّق مقولات ونظريات يُكذّب بعضها بعضا ثم نجعل كلام الله وراء ظهورنا. الله تعالى يقول عن آدم: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾ [البقرة: ٣١ - ٣٢].

- فمعنى ذلك أن آدم علّمه ربّه لغةً قبل أن يهبطه إلى الأرض. ثم تعلّم منه أبناؤه ثم

انقسم الناس شعوبا وقبائل، وأصبحت كل جماعة فى بقعة من الأرض تنشئ لغة خاصة بها. ﴿ وَمِنَ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْبَأْتُ لَكُمْ أَلْسِنَتِكُمْ وَاللُّغَمِينَ ﴾ [٢٢: الروم]. وكانت بعض الشعوب تتقدم وبعضها تتخلف، تبعاً لطبيعة المناخ والظروف التى تحيط بكل شعب..

— أما اللغة التى تعلمها آدم — عليه السلام — فهى «العربية» غالباً. ثم رفعت بعد انتهاء حياة آدم. والله أعلم.

— ذلك.. لقوله تعالى عن جهنم، وجوابها له: ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَّزِيدٍ ﴾ [٣٠: ق]. وهذا يعنى أن جهنم تنطق بلسان المقال لا بلسان الحال. وليس ذلك بعجيب! فإذا كان الله تعالى قادراً على أن يُنطق الجلود وكل شيء يوم القيامة، كما فى قوله تعالى عن الكافرين: ﴿ وَقَالُوا لِمَ لُجُودِهِمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِى أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [فصلت: ٢١]. فالله تعالى قادر أن يُنطق جهنم، فليس لها أن تخرج على ناموس الآخرة العام. وبذلك.. تكون اللغة التى بدأت بها الحياة الدنيا هى اللغة التى تبدأ بها حياة الأخرى كذلك.

— ثم.. نحن لا نزال نقول: «الحجرُ كسرُ الزُّجاجِ» أو: «كسرُ الحجرِ الزُّجاجِ» أى: نُقدِّمُ الفاعل ونؤخر المفعول. ولا نقدم الزجاج على الحجر، أى: لا نُقدم المفعول به على الفاعل، فى هذه الجملة، إلا فى النادر النادر، لأن التقديم للزُّجاجِ يعنى أن كسر الزجاج أهمُّ عندنا من (فاعل) الكسر (الحجر). وفى مثل هذه الحالة.. نجعل الجملة مبنية للمجهول غالباً، فنقول: كُسِرَ الزُّجاجُ.

— يتبين من هذا أن المرحلة الأولى — كما رآها السُّكاكيني — ليست إلا «وهما» توهمه السُّكاكيني وهو جالس وراء مكتبه، لأن اللغات، ولا سيما العربية ليست من البساطة بحيث يتوهم متوهم أنها تأتى على مراحل مُنفصل بعضها عن بعض، بل إن اللغات من «التعقيد» بحيث تتداخل فيها المراحل كتداخل طبيعة الإنسان «المعددة» المكوّنة من فكر وعاطفة وأحاسيس.. كلها مُتمازجة مُتعاونة يعضد بعضها بعضاً.

— أما المرحلة الثانية كما رآها السُّكاكيني التى تقوم على «الترتيب».. فهى مرحلة توهمها الكاتب كما توهم المرحلة الأولى. إن هذا الترتيب الملزَم لا يَصِحُّ إلا فى الأسماء التى لا تظهر عليها الحركات، مثل المثال السابق: «هَجَرَ موسى عيسى» فالهاجر هو موسى

(وهو الفاعل) والمهجور هو عيسى (وهو المفعول نحوياً). وإنه لمن السذاجة المتناهية أن يتصور أحد أن اللغة في حِقْبَةٍ معيَّنة لم تكن تتعامل إلا مع الأسماء المقصورة، وما شابهها مما لا تظهر عليه الحركات. اللغة أوسع من ذلك وأكثر تعقيداً من ذلك مئات المرات. لو كانت اللغات «تُصنع» بهذه الصورة.. لكانت بسيطة جداً، غير معقدة التكوين، ولكان المتكلمون بها لا يُعَدُّونَ إلا بالعشرات. بحيث يستطيعون أن يتفقوا على نهج موحد في التعامل معها! ثم.. هل كانت العقلية ناميةً عند البدو المتناثرين في الصحراء بحيث يرسمون «خُططا» ثم ينفذونها؟ وأين كانوا يجتمعون ليتحاوروا ثم يتفقوا؟

– إنَّ الترتيب في الأسماء المقصورة وما شابهها لا يزال مرعياً، ولن يتغير في المستقبل، لأنك لا تستطيع أن تميز بين الفاعل والمفعول إلا بهذه الطريقة، وبطريقة أخرى لم يتنبه لها السكاكيني، وهي أنه يمكننا أن نقول: «موسى هجر عيسى» لكي نميز بين الفاعل والمفعول. وهل يُظنُّ أنَّ العرب جهلوا هذا النوع من الترتيب؟ إنه ترتيب أقرب إلى الوضوح اللغوي من الترتيب الأول. واللغة تنشد الوضوح في كل استعمالاتها. أما ترانا نقول من أجل الوضوح: عَيْنٌ وجمعها عيون، وعينا وجمعها أعيان. لنميز بين العين المبصرة، والعين التي تدل على الذوات؟ فنقول عيون، للعيون المبصرة، ونقول: أعيان، للذوات أو أعلام البلد. أمَّا عيون الماء، فهي من قبيل المجاز، لأنَّ هناك تشابهاً بين العيون الآدمية وعيون الماء، والتشابه يسمح للغة بأن تستعمل كلمة واحدة للمشبه والمُشَبَّه به. أما ترانا نقول: «زيدٌ بحرٌ» فنكاد نساوي بذلك بين زيد وبين البحر. أما قال حافظ إبراهيم: «أنا البحر في أحشائه الدر كامن؟» يقصد اللغة العربية.

ومهما يكن.. فإنَّ الاضطرار إلى الترتيب على صورة «هجر موسى عيسى» فإنما يدلُّ على أهمية «الحركات» في اللغة. لأننا بواسطة الحركات نستطيع أن نُقدِّم وأن نُؤخِّر في الكلمات التي تظهر عليها الحركات، تبعاً للمعنى المراد. مثلاً.. الله تعالى قال ﴿وَإِذْ رَفَعُ إِبْرَاهِيمَ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلَ رَبَّنَا فَاقْبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة: ١٢٧]. فقد جاء إبراهيم (وهو فاعل) بعد الفعل مباشرة. أمَّا إسماعيل (وهو فاعل) فقد جاء بعد تمام الجملة. ولكنَّ القارئ يدرك أن كلاً من إبراهيم وإسماعيل فاعل لأنه مرفوع. ولكنَّ تأخر إسماعيل لم يأتِ جُزافاً، وإنما للدلالة على انحناءات المعنى. فإبراهيم هو الرجل المكتمل الذي كان يبنى، أمَّا إسماعيل فكان صبيّاً.. يناوله صغار الحجارة والطين. ولذلك.. فهما

لا يستويان في العمل، ولذلك.. فمن الحقَّ أن يُمَيَّزَ بينهما في التعبير.. فيأتي الشخص الرئيسيُّ في عمليَّة البناء بعد الفعل مباشرةً، ويُوخَّرُ الشخصُ الثانويُّ في عمليَّة البناء حتى تكتمل الجملة. ولولا حركات الإعراب لكان حقَّ التعبير أن يُقال: (وإذ يرفع إبراهيم وإسماعيل القواعد من البيت، علماً أن إبراهيم كان الشخص الرئيسيُّ في عمليَّة البناء، وأن إسماعيلَ كان الشخص الثانويُّ!) وبهذا.. يكون التعبير الثاني ضعف التعبير الأوَّل. ومن المقرَّر أن البلاغة في الإيجاز.. عندما يستوى التعبير الموجز والطويل في أداء المعنى.

- وهذا.. (إلى جانب أشياء أخرى كثيرة) يُشير إلى تفوق اللُّغة العربيَّة؛ لغة القرآن، على اللُّغات الأخرى، ومنها الإنجليزيَّة التي يعرف شيئاً منها نصفُ الأردنيين في العربيَّة، مثلاً، قال المتنبي:

فما ينفعُ الأسدَ الحياءُ من الطوى ولا تُتقى حتى تكونَ ضواريا
(والطوى: الجوع. والضواري: الوحوش المولعة بأكل اللحم). (والأسد) هنا منصوبةٌ لأنها مفعول به، وهي مقدَّمة على الفاعل: الحياء، وهو مرفوع. وقد وضحنا سبب التقديم والتأخير في كلام سابق.

- ونضيف إليه أن الإنسان يرتاح ويُنفَس عن مكبوتاته المولدة عندنا يُؤنَّب نفسه تأنيباً مباشراً أو غير مباشر؛ عن طريق الواعي أو اللاواعي. أما يقول الكفار عندما يسألهم أصحاب الجنة: ﴿مَآسَكُكُمْ فِي سَفَرٍ﴾ ﴿٤٢﴾ « [المدثر: ٤٢] فأجابوهم مؤنِّبين أنفسهم: ﴿قَالُوا لَرْنَاكَ مِنَ الْمَصَلِينَ﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿وَلَرْنَاكَ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ﴾ ﴿٤٤﴾ ﴿وَكُنَّا نَحْوُ مَعَ الْخَاطِئِينَ﴾ ﴿٤٥﴾ ﴿وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ﴾ ﴿٤٦﴾ ﴿حَتَّى أَتْنَا إِلَيْهِنَّ﴾ ﴿٤٧﴾ [المدثر: ٤٣ - ٤٧]. رأيت إلى هذه السلسلة من الاتهامات التي اتهموا بها أنفسهم، وهي تعبَّر عما يجدونه في أعماقهم، وعما مارسوه عملياً، لأن الإفضاء بالأخطاء يُدخِل على النفس شيئاً من الراحة. إنه لونٌ من ألوان «التطهير» الذي تحدث عنه - أرسطو الفيلسوف اليوناني - في كتابه «فنُّ الشعر».

- وبعد: فلو كان الإعراب دليلاً على تطوُّر الحضارة وتعقد اللُّغة المعبِّرة عنها «فحسب»، لما فقدت اللُّغة الجرمانِيَّةُ الإعرابَ مع الأيام، والحضارةُ تتقدَّم ولا تتراجع أو: على الأقل: تبقى حيثُ هي. بل كانت اللُّغات التي تعبَّر عن حضارة اليوم المعقدة الشديدة التحقيد (وعلى رأسها الإنجليزيَّة) - كلها.. مُعربةً. وهذا لم يكن، ولن يكون في هذه اللُّغات. إنَّ الإعراب إحدى خصائص اللُّغة العربيَّة الرئيسيَّة كالاتِّفاق.. لكى تتمكَّن اللُّغة العربيَّة

من التّعبير عن أدقّ المعانى العقلية والوجدانية. ولكي تكون لغة القرآن المعجز، ولا يصحّ أن يُنزل المعجز بلغة غير مُعجزة.. لأنّ جانباً مُهماً من إعجاز القرآن هو الإعجاز اللغويّ.

— إنّ اللغة العربيّة وُلدت مُعرّبةً، ألهمها الله تعالى العرب إلهاماً لتكون لغة القرآن الخالد. كما فصلنا في (التمهيد).

لقد اصطفى الله تعالى العرب ليكونوا الحَمَلَة الأوائل للقرآن. واصطفى سيدنا محمداً من بينهم ليكون الرسول المصطفى الذي ينزل عليه القرآن، واصطفى اللغة العربيّة من بين اللغات لتكون الوعاء الذهبيّ الذي يُقدّم القرآن للناس كافّةً، طبّق من ذهبٍ.. عليه أشهى طعام للعقول والأجسام.

إنّ تصوّر السّكاكينيّ — بعد كل ما تقدّم — هو تصوّر سانج لتطوّر اللغة العربيّة. لا يدعّمه لا واقع كان في الجزيرة العربيّة، ولا منطِقٌ سديدٌ يغوصُ في أسباب تطوّر جميع اللغات الحيّة والميتة منها، على السّواء. فاللغات أكثرُ تعقيداً، في نشوئها، وفي تطوّرها، من هذا التسطيح في الفهم الذي لا يرضاه كلُّ عقل، لتلقّف المعرفة بهم نهمٌ جلدٌ.

الموضوع الثانى

نظرية اللغة بين عبد القاهر الجرجاني وتشومسكى^(١)

قراءة لكتاب (فى نحو اللغة وتراكيبها) للدكتور خليل عميرة

قرأت كتاب الدكتور خليل عميرة (فى نحو اللغة وتراكيبها). والكتاب ذو فائدة لما فيه من نظرات جديدة. ولكن لى عليه بضع ملاحظات سأؤجلها إلى مقالة أخرى، وسأكتفى - هنا - بالمقارنة بين نظرية الإمام عبد القاهر الجرجاني الذى عاش فى القرن الخامس الهجرى - الثانى عشر الميلادى - ونظرية الدكتور نحوم تشومسكى الذى ولد فى القرن العشرين.. عام - ١٩٢٨م - سأكتفى بالمقارنة بينهما لأهمية النظريتين، ولأن عبد القاهر الجرجاني كان أدقّ فهما لتكوّن اللغة، كما أرى.

- فى الطبعة الأخيرة المنقحة لنظرية تشومسكى يعرض الدكتور العميرة أهم النقاط فيها على النحو التالى: «وقد ترتب على هاتين الفرضيتين (الفطرية والشمولية) فرضية أخرى تبرز فى المصطلحين التاليين: الكفاية أو - الظاصح (الكفاءة أو القُدرة) (Competence)، والأداء - أو الإنجاز كما أرى - (Performance). فالكفاية تكون فى امتلاك (المتكلم - السامع)

(Ideal Speaker - Hearer) القدرة على إنتاج عدد هائل من الجمل من عدد محدود جداً من الفونيمات الصوتية، والقدرة على الحكم بصحة الجمل التى يسمعها من وجهة نظر نحوية تركيبية - كما ذكرنا قبل قليل - ثم.. القدرة على الربط بين الأصوات المنتجة وتجميعها فى مورفيمات تنتظم فى جمل، والقدرة على ربطها بمعنى لغوى مُحدد. ذلك كله يتم بعمليات ذهنية داخلية يتم التنسيق بينها بما يُسمى «إنتاج اللغة»..

- «وهذه القواعد والقوانين وتلك القدرة كامنتان فى الذهن، وأما استعمالها (أى استعمال اللغة) فيسمى الأداء. فالأداء هو الكلام أو هى الجمل المنتجة التى تبدو فى فونيمات ومورفيمات تنتظم فى تراكيب جُمليّة خاضعة للقواعد والقوانين اللغوية الكامنة والمسؤولة عن تنظيم هذه الفونيمات والمورفيمات فى تراكيبها. فهو (الأداء) الوجه الظاهر المنطوق

(١) كتبت سنة - ٢٠٠٣م.

للمعرفة الضمنية باللغة. ولكن هذا الوجه قد لا يحصل بينه وبين الكفاية تطابق تام، فيكون فيه انحراف (خطأ) ناتج عن عوامل مقامية سياقية، أو ذهنية نفسية اجتماعية.. إلخ. وقد ارتبط بهاتين الفرضيتين فرضيتان أخريان في نظرية تشومسكى هما: البنية العميقة (Deep structure) والبنية السطحية (Surface Structure). أما البنية العميقة فهي الأساس الذهني المجرد لمعنى معين يوجد في الذهن ويرتبط بتكوين جملتي أصولي يكون هذا التركيب رمزا لذلك المعنى وتجسيدا له، وهي النواة التي لا بد منها لفهم الجملة ولتحديد معناها الدلالي، وإن لم تكن ظاهرة فيها..

«وبصرف النظر عن الكيفية التي تأتي عليها البنية السطحية هذه فقد تكون، كما ذكرنا قبل قليل، وقد ينطق بها المتكلم مقدما جزءا من الجملة النواة على الآخر.. وهذا كله لا يقدم ولا يؤخر في المعنى الذي في ذهن المتكلم أو في الكشف عنه»^(١) ص ٥٦ - ٥٩.

١ - أقول: إن معنى قول تشو: إن اللغة فطرية.. هو أن الإنسان يستطيع أن يُنتج اللغة ولا يستطيع ذلك سائر الحيوانات^(٢).. وتوضيح ذلك أن في الدماغ خلايا خلقت «مستعدة» لاستقبال اللغة وهذا أمر بديهي^(٣)؛ فالإنسان لا يحصل شيئا من العلم، سواء أكان في مجال العلوم أو الآداب أو المعارف الإنسانية، إلا إذا كان لديه استعداد فطري لذلك، أي: لديه خلايا في الدماغ تستطيع بالتعاون مع عضوية الجسم، ومع الوجدان خاصة (أي: العواطف والمشاعر والأحاسيس) أن تستقبل شتى المعارف والعلوم. ولذلك.. لأن الإنسان لم يخلق لديه استعداد فطري للطيران - دون واسطة - لا يستطيع أن يطير على ارتفاع عشرين مترا، ولو ظل يتدرب طول حياته، بينما تستطيع ذلك الطيور، لأنها خلقت وفي جسمها استعداد للطيران، فتأخذ تطير بعد الولادة بأسبوع أو شهر، يبدأ طيرانا ضعيفا ثم يشتد.

إذن - تشو - بهذا - لم يأت بشيء جديد غير معروف لكل العقلاء، أو على الأقل - لكل المثقفين العقلاء.

(١) خليل أحمد عاميرة: في نحو اللغة وتراكيبها - منهج وتطبيق - ٥٥ - ٥٩ - عالم المعرفة/ جُدة - ١٩٨٤م.

(٢) لا يستطيع ذلك سائر الحيوانات.. فهذا أمر بديهي وما تتعلمه بعض الطيور كالبيغاء، وبعض القردة كالشبانزي لا يعد لغة، لافتقاره إلى الكثرة والتماكك والتنوع.

(٣) بديهي: مثلها سليقى وطبيعى وغريزي - كلها سمعت من العرب -، والسمع مقدم على القياس. لأن أصل القياس سماع. ولأن قواعد القياس وُضعت ليقاس عليها ما يشتقه المولدون - بعد عصر الاحتجاج - حتى تقوم الساعة - أما ما صدر عن العرب الفصحاء فلا يقاس، وإن كان... نادرا - بل يصح أن يقاس عليه، عند الحاجة.

- وإن معنى قوله: إن اللغة شمولية.. هو أن هذه الخلايا التي في الدماغ فيها قدرة على تنظيم اللغة في قواعد وقوانين محدودة تمكن الإنسان من صوغ الجمل بلا حدود، ومن معرفة الصائب منها من الخطأ، سواء أكان هو المنتج لها أو كان غيره هو المنتج لها.

- وأقول: هذا أمر سبق به ابن خلدون تشو قبل ستة قرون؛ فابن خلدون يرى أن تكون الملكة اللغوية (أو القدرة اللغوية) إنما يحصل من خلال سماع القول الفصيح وقراءته والدربة على استعماله. أي: أن الإنسان يقوم بعمليتين مترافقتين متعاقبتين: يتلقى اللغة شيئاً فشيئاً ويمارسها شيئاً فشيئاً^(١). وأقول: إن هذا الكلام يعنى أن الدماغ قابل لاستقبال اللغة، وقابل لإنتاجها في لحظات متعاقبة، بعضها لاستقبال اللغة وبعضها لإنتاج اللغة.

- وأقول: إن القرآن الكريم سبق المفكرين: ابن خلدون وتشو، فقد قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨]. فالربط بين العلم (لا تعلمون) وبين السمع والأبصار والأفئدة.. هو دلالة على أن هذه الأشياء الثلاثة هي آلات لتحصيل العلم، إذ لم يكن الإنسان ذا علم عند خروجه من بطن أمه. ولكن الله جعل في جسمه هذه الآلات الثلاث لتكون آلات لتحصيل العلم. والفؤاد - من هذه الآلات الثلاث - هو القلب. قال أبو ذئيب^(٢) الهدلى يصف امرأة جميلة:

رآها الفؤاد فاستضل ضلاله نيافا من البيض الحسان العطائل^(٣)

والقلب هو العقل، أو إن العقل والقلب بينهما اشتراك، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارَ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦] فالقلب يدفع الوعي إلى العقل. والحق أن العقل لا يفكر إلا إذا حفزه حافظ من القلب (أو الوجدان)، أما ترى أن المرء لا يقوم بعمل جسمي أو فكري إلا إذا وجد عنده - الرغبة - في ذلك. ولن تكون رغبة بغير حفز من القلب (الوجدان) الذي يحرك العواطف والمشاعر والأحاسيس.

وقد وضح رسولنا محمد - صلى الله عليه وسلم - قول القرآن السابق بقوله: «ألا إن

(١) انظر: ابن خلدون عبد الرحمن ابن محمد (٨٠٨ هـ) - المقدمة - ١٢٣٤هـ/ القاهرة ١٩٦٢م - تحقيق:

على عبد الواحد.

(٢) أبو ذئيب: يكتب أيضا: أبو ذؤيب. في الصورة الأولى غلب الكسر عن طريق الياء، وفي الثانية غلب الضم، وكلاهما صحيح.

(٣) معجم لسان العرب - مادة (فأذ).

في الجسد مُضغَّةً، إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجسدُ كُلُّهُ، وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الجسدُ كُلُّهُ، ألا وهي القلب»^(١) ذلك لأنَّ القلب هو الذي يُحرِّك العقل للعمل والتفكير.

- ننتهى من هذا أن الفؤاد هو القلب، وأن القلب بينه وبين العقل ارتباط شديد. وهذا.. يؤدي إلى أن نقول: آلات الجسم تُوصَل ما تُحصَله من لغة ومعارف إلى العقل، ثم يستقر كل نوع منها - لغة أو معارف - في الخلايا التي تُحصه في الدماغ. وكل نوع من هذه الخلايا يقوم بثلاثة أعمال: الأول - استيعاب المادة التي تصل إليه. والثاني - تكييف الخلايا مع هذه المادة لتصبح مُقَوَّبَةً بالقوالب التي تنتج نوع المعرفة المخصوصة. والثالث - إنتاج المعرفة المخصوصة، وإنتاج وحدات إبداعية في مجالها. مثلاً.. قوالب اللغة تستوعب ما يأتيها من ألفاظ وتعابير وتراكيب، ثم تتقوَّب بالقوالب التي تطرحها هذه اللغة، ثم تُصبح هذه القوالب قادرة على إفراز كثير مما وصلها من اللغة، وعلى إنتاج ما لا يُحصى من الألفاظ (المُشتقة غالباً) ومن التعابير التي تأتي على هدى القواعد التي استقرت في (الخلايا - القوالب).

٢ - ويقول الدكتور العمارة: «فليس الأمر - فيما يرى تشومسكي - اكتساباً، كما يراه السلوكيون، يَتِمُّ بالتقليد والمحاكاة والتخزين في الذهن الذي يولدُ صفحة بيضاء».

- أقول: إن نظرية تشو لا تقول إلا أقل من نصف الحقيقة، وإنَّ نظرية السلوكيين تقول نصف الحقيقة الآخر. أعني أن اللغة لا تُكتسب إلا بواسطة شيئين: الأول - وجود خلايا في الدماغ مُستعدة لاستقبال اللغة. والثاني - وجود لغة تحل في هذه الخلايا عن طريق الاكتساب. وبهذا يكون رأى ابن خلدون أقرب إلى الصحة من الرأيين السابقين، لأنه جمع بين الاكتساب والاستعداد للاكتساب، تقوم بهما خلايا في الدماغ.

٣ - وأقول: إن الكفاية والأداء.. القدرتين اللتين وردتا في النص الذي نقلناه من شرح الدكتور العمارة لنظرية الدكتور تشوم لا تختلفان كثيراً عن الفطرية والشمولية اللتين تحدثنا عنهما سابقاً. فالكفاية تعني تخزين اللغة، مفردات وتعابير، وخلال ذلك تتكون في خلايا اللغة في الدماغ القواعد والقوانين التي تسير عليها اللغة، التي تؤدي إلى أن تكون هذه الخلايا قادرة على إنتاج عدد غير محدود من الجمل - عن طريق هذه القواعد - من عدد محدود من الجمل أو القوالب، ولكنها تظل في حالة كُمون حتى يثيرها مثير خارجي أو داخلي، فتبرز منها - عملياً - الجمل التي تناسب هذا المثير. وهذا.. هو الأداء. هو القدرة على الإنتاج الفعلي للجمل المرتبطة بالمثير والتي تعبر عن معنى.

(١) البخاري: محمد ابن إسماعيل (١٧٥) - الصحيح - ٢٠/١.

- ومثل هذا.. قاله الإمام عبد القاهر الجرجاني في كتابه (دلائل الإعجاز)، منذ القرن الخامس الهجري - الثاني عشر الميلادي - قال: «وإذا كان لا يكون في الكلم نظم ولا ترتيب إلا بأن يُصنَع بها هذا الصنيع ونحوه، وكان ذلك كله مما لا يرجع منه إلى اللفظ شيء، ومما لا يُتصوَر أن يكون فيه ومن صفته. بأن لك أن الأمر على ما قلناه من أن اللفظ تبع للمعنى في النظم، وأن الكلم يترتب في النطق حسب ترتب معانيه في النفس، وأنها لو خلت من معانيها حتى تنجرد أصواتا وأصداء حروف.. لما وقع في ضمير ولا هجس في خاطر أنه يجب فيها ترتيب ونظم، وأن يُجعل لها أمكنة ومنازل، وأنه يجب النطق بهذه قبل النطق بتلك»^(١).

- أقول: قوله: أن اللفظ تبع للمعنى في النظم، وأن الكلم يترتب في النطق حسب ترتب معانيه في النفس. يعني شيئين: الأول - أن المرء لا يستقبل ألفاظا دون معانٍ، وغالبا ما تأتي الألفاظ في تعابير تقوم على معانٍ مركبة. وثانيا - أنه ينطق بالألفاظ - غالبا - في تعابير تترتب في النطق والكتابة حسب ترتيب معانيها في النفس (أي: العقل). وهذا.. يعني أن مستقر المعانى هو النفس (العقل)، ولن تستقر المعانى في العقل لولا أن لها خلايا معينة فيه قادرة على الاستقبال، ولن تكون قادرة على الاستقبال لولا أن تكونت فيها مسارب (قوالب) للمعانى وللألفاظ، كمفردات وتعابير تقوم على أساس هيئات تراكيب تكونت في هذه الخلايا. وهذه المسارب وهذه التراكيب قادرة على التعبير بالألفاظ حسب ترتيب المعانى فيها. ولما كانت المعانى غير مُتناهية فهذا يعنى أن هذه المسارب وهيئات التركيب قادرة على توليد ما لا يحصى من المعانى، وإلا.. لما استطاع متكلم أن يأتي بجديد في المعنى الذى يستتبع ألفاظا جديدة أحيانا، أو ترتيب ألفاظ قديمة ترتيبا جديدا، أو جمعا بين بعض الألفاظ الجديدة والقديمة مع ترتيب جديد لها.

- إذن - عبد القاهر الجرجاني - سابق لتشوم بقرون في معرفة هذه النظرية اللغوية. وتُضيف هنا أن المعانى - البسيطة منها والمركبة - لا تسبق الألفاظ، وإنما تتولدان وتشكلان في وقت واحد معا، تقريبا.

وهنا.. يحسن أن نلاحظ أن عبد القاهر الجرجاني قال بأن الألفاظ تترتب حسب ترتب المعانى في (النفس) ولم يقل: في العقل. لأن العقل لا يتحرك، كما قلنا في الرقم الأول، إلا إذا حركته النفس.

(١) عبد القاهر ابن عبد الرحمن الجرجاني (٤٧١هـ): دلائل الإعجاز - ٥٥، ٥٦ - مكتبة الخانجي /

القاهرة - ١٣٧٥هـ / ١٩٥٢م.

- ولهذا.. فاستنفار العبارات في خلايا من الدماغ لا يكون إلا إذا حركت الدماغ النفس (الوجدان). ولهذا.. يختلف ترتيب المعاني في العقل، وترتيب الألفاظ تبعاً لذلك - في مجال العلم أو الفكر عن ترتيبهما في مجال الأدب. لأن النفس تكون مُستقرّة إلى حدّ كبير عند التفكير العلمي والفلسفي والنقد - على تفاوت في استقرارها - إنها تتحرك بنسبة عشر درجات في المئة إلى عشرين وبذلك.. يكون حفزها للعقل محدوداً، مما يُبقي الألفاظ المستنفرة على ترتيب بسيط. مثلاً.. يأتي الفعل ثم الفاعل ثم يأتي المفعول. وهكذا.. تخرج إلى الوجود.

- أما في مجال الأدب فإن حركتها تكون عنيفة، على تفاوت بين الأديب عند إنشاء الرواية.. عنها عند إنشاء القصة.. عنها عند إنشاء الشعر. تكون حركتها قويّة جداً في الشعر العظيم، بحيث تبلغ ستين درجة بالمئة أو أزيد. وتهبط إلى خمسين بالمئة أو أقل في القصة، ولكنها تهبط إلى ثلاثين بالمئة في الرواية. وبهذا.. يكون حظ العاطفة أكثر من ضعف حظ العقل في الشعر. ثم يزداد حظ العقل قليلاً في القصة، ثم يربو على حظ العاطفة في الرواية^(١).

- على هذا.. يكون التعبير في الشعر العظيم أكثر تعقيداً وتغييراً لترتيب الألفاظ الطبيعي في التعبير من ترتيبها في القصة. وفي القصة أكثر منه في الرواية. وطبعاً يكون في الرواية أكثر منه في العلم أما الفكر، فلسفةً ونقداً فيأتي بين الأدب والعلم. بل إن جَيِّشانَ العاطفة في الشعر يضع أما العقل صوراً - تشبيهاتٍ ومجازاتٍ - لا يضع أمام العقل مثلها في العلم، إذ يكاد العلم يكون خالياً من الصور.. من التشبيهات، وخاصة من الاستعارات.

ولنمثّل على لغة الشعر ببيتين: أحدهما للدلالة على تعقيد التركيب في الشعر، والآخر للدلالة على اهتمام الشعر بالصور: يقول الأخطل الأموي في وصف النساء الجميلات على الطعائن:

حَثُّوا المِطْيِيَّ فَوَلَّتْنَا رِكَابَهُمْ وفي الخُدُورِ، إِذَا باغَمَتْهَا، الصُّورُ^(٢)

(١) انظر: تفصيل ذلك في كتابي (منابع الشعر ومكانه الشاعر - ١٥-٢١).

(٢) (معجم - لسان العرب).

المِطْيِيّ: النوق. الخُدُور: مثل الخيمة الصغيرة، تركب على ظهر الناقة، لكي تدخل بداخلها المرأة المنعّمة. الصور: الجميلات من النساء، وكأنهنّ الرسوم. باغم: كلمها، فجاء كلامها ناعماً رقيقاً كأنه بُغام الطباء.

في الشطرة الثانية.. الترتيب البسيط هو: «الصُورُ في الخدورِ إذا باغمتها». ولكنك ترى بهذا الترتيب الذي قدمناه به- المبتدأ وهو: (الصور) ثم جاء بالمتعلق بالخبر (في الخدور) ثم بالشرط (إذا باغمتها) - ترى أن جمال الشطرة ضاع، وأن إحكام التركيب تفكك، وأن الكلام أصبح نثرا رديئا. ولكن في حالة ترتيب الشاعر للشطرة.. جاء الكلام مُحكما؛ فقد قدم متعلق الخبر (وفي الخدور) لأهميته، لأن النساء مُسافرات، والشاعر يريد أن يسبق إلى ذهن المتلقي إلى أن هؤلاء النسوة مُنعمات، لا يمشين على أرجلهن، وإنما هن على الظعائن وفي الخدور أيضا، أي: لكل منهن خدرٌ على ظهر الناقة يقيها الحرَّ والبرد ونظرات المتطفلين، فهن منعمات مصونات. ثم.. قدم الشرط (إذا باغمتها) قبل المبدأ (الصور) ليشعرك أنهم لسن سوقيات يُثرثن مع الغادى والرائح، وإنما هن مُتعزّزات لا يكلمهن إلا من يهفو إلى كلامهن ومن دلائل أنهم مُنعمات أنهم لا يُصوتن من حلقو حَسنة. وإنما هن يُساقطن الكلام كالْبُغام (والبُغام صوت الظبية) فهو يخرج من اللسان والشفاه لا من الحلق.

- وأظنك الآن أدركت من الكلام السابق: لماذا أحرَّ المبتدأ (الصور) فلا بد من الاحتراس قبله بأن هؤلاء النسوة الجميلات في الخدور، ثم.. إن - البُغام - لا يُناسبه إلا الصُور من النساء أي: الجميلات، لأن المصوّر (الرّسام) غالبا ما يُجوّد الصورة حتى تكون أقرب إلى المثال: فالصوت الرقيق الرّخيم لا يصدر إلا من المرأة المنعمة الحسنة.

- ويقول الفرزدق عن غزو الشيب الشباب. مُهتما بالصور:

والشيبُ ينهضُ في الشبابِ كأنه ليلٌ يصيحُ بجانبَيْهِ نهارُ

فالشيب أصبح في نفس الشاعر من الأحياء ينهض ليطرد الشباب (ممثلا بالشعر الأسود) ثم.. شبهه بصورة الليل يقتحم جماء النهار. ثم شَخَص النهار والليل؛ فالليل كقطيع الأغنام الأسود. والنهار كالرّاعي يصيح بجانبَيْ قطيعه، لكي ينطلق في الصباح إلى المرعى.

- ولن تجد مثل هذا البيت والذي قبله في نصّ علمي أو فكري.

٤ - أما البنية العميقة والبنية السطحية في نظرية تشوم، كما اصطلح على تسميتها الدكتور العمایرة.. فإنى لا أرى أن هذين الاصطلاحين دقيقان. وأدقّ منهما أن نقول:

البنية الخفية والبنية الظاهرة. لأن تسميتها بالبنية العميقة والبنية السطحية يعنى أن البنية الأولى ذات تركيب وعمق، وأما الثانية فهي بسيطة ساذجة، مع أن البنية الثانية هي صورة ظاهرية عملية للبنية الداخلية المجردة.. غالباً.. ولهذا.. فالتسمية التي اقترحتها هي أقرب إلى الصحة، فليس الفرق بينهما - غالباً - أن الأولى أجرد من الثانية، بل الفرق بينهما فرق مكان؛ فالأولى كامنة في موضعها من الدماغ، والأخرى صيغة عملية منطوقة أو مكتوبة. ولهذا.. فلا مندوحة من أن نترجم (Deep) بالداخل و(Surface) بالظاهر.

- ثم.. فمن حيث المعنى فلا جديد يطرحه هذان الاصطلاحان، إذ هما يعيدان ما قيل سابقاً في الرقم الأول. وهو أن البنية الداخلية كما سميتها هي الخلايا التي تستقبل اللّغة، ثم يؤدي ورود اللّغة إليها شيئاً فشيئاً إلى تخزينها وإلى نمو القوالب (القواعد والقوانين) في هذه الخلايا شيئاً فشيئاً - هذه القوالب التي يُقاس بها صحة اللّفظ من خطئه، ويُقاس بها صحة التعبير من خطئته كذلك.

- أما البنية الظاهرة.. فهي التجسيد العملي - المنطوق والمكتوب - لما استقر في هذه القوالب. وقد يكون مجرد استرجاع لما استقر في تلك القوالب، وقد يكون «إبداعاً» يجري على بنية هذه القوالب، ولكن بتشكيل جديد مُبدع للمعاني والألفاظ، لأن هذه القوالب مرنة بحيث تسمح بالتدفق الجديد أو الفيض الإبداعي.. معنىً وصوراً وتعابير.

ه - وقوله: «فهو (الأداء) الوجه الظاهر المنطوق للمعرفة الضمنية الكامنة باللّغة. ولكن هذا الوجه قد لا يحصل بينه وبين الكفاية تطابق تامّ، فيكون فيه انحراف (خطأ) ناتج عن عوامل مقامية سياقية، أو ذهنية نفسية اجتماعية.. الخ».

- أقول: هذا الأمر تحدّث عنه الجرجاني بقوله: «.. فلست بواجد شيئاً يرجع صوابه - إن كان صواباً - وخطؤه - إن كان خطأً - إلى (النظم)، ويدخل تحت هذا الاسم، إلا وهو معنى من معاني النحو قد أصيب به موضعه ووضع في حقه. أو عومل بخلاف هذه المعاملة فأزيل عن موضعه، واستعمل في غير ما ينبغى له. فلا ترى كلاماً قد وصف بصحة نظم أو فساده، أو وصف بمزيةٍ وفضل فيه إلا.. وأنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد وتلك المزية وذلك الفضل إلى معاني النحو وأحكامه، ووجدته يدخل في أصل من أصوله، ويتصل بباب من أبوابه»^(١).

(١) المرجع نفسه - ٨٢، ٨٣.

- أقول: إن اعتبار الجرجانيّ النظم - صحةً وفساداً - راجعاً إلى معانى النحو، أى: راجعاً إلى القلب الذى تشكل فى خلايا الدماغ التى تخصّ اللغة، يماثل هذا الذى سمّاه تشوم الكفاية، لأنّ معانى النحو راسخة فى الخلايا المذكورة سابقاً.

- وصحة النظم وفسادة ترجعان إلى معانى النحو أى: أن صحة النظم وفساده إنما هى الصورة القولية الظاهرة، أى: هى الأداء، كما عبّر عنه تشوم، (الاختلاف فى التعبير وليس فى المعنى المركزى)، ومعانى النحو هى الكفاية، كما أسلفنا. والجرجانيّ، ليؤكد نظرتة، يضرب مثلاً على صحة النظم، وآخر على فسادة. ومن أمثلته على صحة النظم التى تعنى اتفاق التعبير مع معانى النحو، أى: اتفاق البنية الخارجية مع البنية الداخلية - قول البُحترى:

فما إن وجدنا لفتح ضرينا	..بلوئنا ضرائب من قد نرى
تُ عزماً وشيكا ورأياً صليبا	هو المرء أبدت له الحادثاً
سماحا مُرجىً وبأساً مهيبا	تنقل فى خلقي سُوددٍ
وكالبحر إن جئتُه مُستثيباً	فكالسيف إن جئتُه صارخاً

- ثم.. يوضّح جوانب الجمال فى الأبيات فيقول: «أفلا ترى أنّ أول شيء يروقك منها قوله: (هو المرء أبدت له الحادثات) ثم قوله: (تنقل فى خلقي سُودد) بتنكير السُودد، وإضافة الخلقين إليه. ثم قوله: (فكالسيف)، وعطفه بالفاء مع حذفه المبتدأ. لأن المعنى.. لا محالة: فهو كالسيف، ثم.. تكريره الكاف فى قوله: (وكالبحر). ثم.. أن قرّن إلى كل واحد من التشبيهيين شرطاً وجوابه فيه. ثم.. أن أخرج من كل واحد من الشرطين.. حالاً على مِثال ما أخرج من الآخر، وذلك قوله: (صارخاً) هناك، و(مُستثيباً) ها هنا؟ لا ترى حسناً تنسيبه إلى النظم ليس سببه ما عددت، أو ما فى حكم ما عددت»^(١). أى: ليس سببه إلا قوالب النحو الراسخة فى الدماغ.

- ومن أمثلته على فساد النظم أى: انحراف القول الظاهرى عن البنية الداخلية، أى: انحراف الأداء عن الكفاية (الفرق فرق اصطلاحات وليس فرق حقائق) قال: مثال قول المتنبى:

(١) المرجع نفسه - ٨٥.

وفاؤكما كالرَّبْعِ أشجَاهُ طاسِمُهُ بأن تُسعدا والدمعُ أشفاهُ ساجِمُهُ

ومع أنه لم يحلل البيت لكنه ضربه مثلا على فساد النظم. ونظم البيت دون انحراف (وفاؤكما بأن تسعداني - أيها الصديقان - وتهتما بأمرى كالرَّبْعِ كلما كان أكثر عفاءا كان أكثر جلبا للحزن، كما أن الدمع يشفى من الحزن إذا كَثُرَ انهماأله).

٦ - وقول تشو الأخير الذى أورده الدكتور العمارة بأنه قد ينطق بالبنية السطحية المتكلم.. مقدما جزءا من الجملة النواة على الآخر.. وهذا/ كلُّهُ لا يُقدِّم ولا يؤخِّر فى المعنى الذى فى ذهن المتكلم أو فى الكشف عنه^(١).

- أقول: قد نعذر تشو بهذا القول بعضَ العذر - لا كلُّهُ - لأن تغيير الترتيب فى الجمل فى اللغة الإنجليزية قليل، فهى، على الأغلب، ذات قوالب جامدة، خلافا للغة العربية ذات القوالب المرنة غالبا^(٢). ولكن الحق أن تغيير الترتيب يؤدى إلى تغيير فى معنى التعبير (ظلال المعنى)، وإن لم يؤثر فى المعنى (المركزى) أو الغرض، كما سَمَّاه الجرجاني أو المعنى (النواة) كما سَمَّاه تشوم. اقرأ ما يقوله الجرجاني عن هذا التغيير، يقول: «لا يكون لإحدى العبارتين مَرِيَّة على الأخرى حتى يكون لها فى المعنى تأثير لا يكون لصاحبيتها»^(٣) ونمثل على ذلك بقوله تعالى ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأَوَّلِي الْأَلْبَابَ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩]، فلو قال أحد الناس: (ولكم حياة فى القصاص) - لتغيير المعنى كثيرا، لأن القرآن الكريم عندما قدّم (فى القصاص) على (حياة) إنما كان ذلك ليوجه الأنظار إلى - القصاص - لأهميته، لأن القصاص يُقتل نسبة القتل العمد كثيرا، فمن ينوى القتل يتردد كثيرا قبل أن يُقدِّم. لأنه يعلم أن مصيره القتل بالقصاص. ولا شك أن الذى يعلم أنه إذا قتل رجلا عمدا سيسجن ولن يُقتل قِصاصا فإنه يكون أجراً على القتل عشرَ مرات من الذى يعلم أنه مقتول لا محالة إذا قُتل. فإذا أضفت إلى ذلك أن المتلقى للعبارة (فى القصاص) يتوقع أن يكون تمام العبارة (قتل المقاتل) ولكنه يجد كلمة تُسوّغ قتل القاتل وهى

(١) فى نحو اللغة وتراكيبها - ٥٩.

(٢) تفضيل ذلك فى كتابى السابق ذكره فى النحو [الرؤى النحوية] - ٨٩/٢ - ٩٩ - فالجمل فى العربية نوعان: جمل نماذجية تحليلية مرنة. وجمل أنماطية وصفية ثابتة الرتبة. الأولى.. كثيرة، والثانية.. قليلة - ولكل أحكامها.

(٣) دلائل الإعجاز - ٨٧.

كلمة (حياة) فيحسّ براحة وتعجب وعثور على كنز لم يكن يخطر له ببال. وليس شيء من هذا يكون لو قدمت (حياة) وأخرت (في القصاص). إن الفرحة المفاجئة التي لم تكن تنتظرها أو تتوقعها الآتية من عبارة القرآن تفتقد في عبارتنا التي غيرنا بها ترتيب عبارة القرآن. لا شك أن المعنى المركزي لا يتغير، ولكن ظلاله تغيرت كثيرا كما عرفت آنفا.

- إذن - الجرجاني كان أكثر وعيا من تشوم إلى أن تغيير ترتيب ألفاظ الجملة (وهو ما سمّاه تشوم: التحويل) يؤدي إلى تغيير في المعنى، أى: فى ظلال المعنى على الأقل.

وأخيرا.. نلخص ما سبق فى النقاط الثمانية الآتية:

- ١ - مُصطلح الفطرية والشمولية.. مضمونهما بديهي، إذ لا يمكن أن يتعلم الإنسان شيئا - لغة أو غير لغة - لولا أنه مزود باستعداد فطرى لذلك ثم.. لا يمكن أن يأتي بجديد فى الفكر والأدب لولا أن عقله قابل لتكوين قوالب لفظية محدودة.. قادرة على إنتاج عبارات غير محدودة. وهذا.. فهُمَّ كان ابن خلدون قد سبق فى توضيحه تشوم. والقرآن الكريم سبق فى توضيح ذلك ابن خلدون وتشوم.
- ٢ - اللّغة اكتساب. كما يقول السلوكيون، لا يتم لولا أن فى خلايا الدّماغ ما يستقبل اللّغة ثم يتكون فيها قوالب قادرة على إنتاج اللّغة.
- ٣ - لا فرق كبير بين الفطرية والشمول من جهة وبين الكفاية والأداء من جهة أخرى، وهذان المفهومان سبق بهما الجرجاني تشوم بثمانية قرون.
- ٤ - أدرك الجرجاني أن للنفس علاقة قوية فى استيعاب اللّغة وفى إنتاجها.. إلى جانب عمل العقل فى هذين الأمرين.
- ٥ - عمل النفس وحفزها للعقل للاستيعاب ثم الإنتاج يقوى فى مجال الأدب. ويقل فى مجال العلم والفكر.
- ٦ - مُصطلح البنية الداخلية والبنية الظاهرة.. أدق من مصطلحي البنية العميقة والبنية السطحية.
- ٧ - التتابق التام بين الأداء والكفاية لا يكون إلا فى القرآن الكريم ويكون بنسبة عالية فى الأدب الرفيع، ويضعف فى الأدب الردىء.

– وقد تكلم عن هذا الأمر اللغوي الناقد الإمام الجرجاني.
٨ – ليس صحيحاً أن تغيير ترتيب الكلام لا يؤثر على ظلال المعنى. المعنى المركزي قد لا يتأثر، ولكن ظلال المعنى تتأثر. لقد أدرك الجرجاني هذا بوضوح، ولم يدركه تشو.

الموضوع الثالث

قراءة لكتاب (في نحو اللغة وتراكيبها) ومناقشة آراء الكاتب عمايرة^(١)

- تناولنا من هذا الكتاب (في نحو اللغة وتراكيبها) القسم الذى يعرض نظرية (تشومسكى) فى اللّغة.. فى مقالة سابقة. حللنا فيها هذه النظرية وبيّنا أن جوهر نظرية تشوم قد سبقه إليه عالمان عربيان.. الأول هو: الإمام عبد القاهر الجرجاني (ت - ٤٧٧ هـ) اللغوى والناقد الشهير، والثانى هو المفكر الشهير عبد الرحمن ابن خلدون (ت - ٨٠٨ هـ) والفرق بينه وبينهما إنما هو فى التفصيلات.

- وفى هذه المقالة نتناول بعض آراء كاتب الكتاب الدكتور خليل أحمد عمايرة المبتوثة فى الكتاب كله، التى لم نوافقها عليها، مُدعّمين رأينا بالتحليل والتعليل والدليل:

- يقول المؤلف: الدكتور عمايرة: (ولعلّ الترتيب بين النعت والمنعوت فى العربية وعدم مراعاته هو الذى يؤدى إلى وجود بعض الجمل الملتبسة التى يعتورها الغموض، فنقول: بقالة الجامعة الجديدة، مدرسة جامعة اليرموك النموذجية. فينصرف ذهن السامع إلى أن المقصود فى الأول هو البقالة، وفى الثانية هو المدرسة، وقد يذهب إلى أن المقصود فى الأولى هو البقالة، وفى الثانية هو المدرسة، وقد يذهب إلى أن المقصود بالنعت هو الجامعة فى الأولى، وأنه جامعة اليرموك فى الثانية، أى: أن النعت تابع للنكرة التى أصبحت معرفة بالإضافة، أو أنه تابع للمعرفة مع إبقاء النكرة.. نكرة فى الذهن وفى المعنى الذى توحى بها الكلمة) ص - ٢١.

- أقول: أولاً - قولُهُ: (وعدم مراعاته) جملة ناقصة، ويُفضّل: وعدم مراعاته للكلمة المنعوتة: أهى المضاف (=بقالة) أم المضاف إليه (=الجامعة).. يؤدى إلى شىء من الغموض.

وثانياً - قوله: (فينصرف الذهن..) يوهم القارئ أن عبارة: (أن المقصود فى الأولى هو البقالة).. هو الاحتمال الوحيد. مع أن الكاتب يعرض احتمالاً آخر. ولذا.. فحق العبارة هو أن تكون: (فقد ينصرف الذهن..) ليدرك القارئ بدءاً أن ثمة احتمالاً آخر.

(١) كتبت سنة - ٢٠٠٣م.

وثالثاً: الدكتور خليل يتحدث عن العربية وكأنها لغة غير مشكولة كالإنجليزية التي لا شكل فيها. ولهذا.. يرى أن القارئ يحار بين أن يكون النعت للمضاف أم للمضاف إليه، والحق أن القارئ لا يحار في العربية، لأنها مشكولة، فإذا أردنا أن نجعل النعت للبقالة مرفوعاً بعلامة الضم.. ضمنا (الجديدة)، وإذا أردنا أن نجعله للجامعة المكسورة بعلامة الكسر كسرنا (الجديدة) فيزول اللبس زوالاً تاماً. إذن لا يحسن أن تقيس العربية على الإنجليزية، لأنهما لغتان مختلفتان. كل منهما لها نهجها وطريقتها في التعبير. بل يمكن أن نفرق بأن نضع شرطة (-) بعد كلمة (الجامعة) إذا كانت الصفة للبقالة - نصلح على ذلك، ولا نضعها إذا كانت الصفة للجامعة.

- ويقول: (فقد كان الشعراء يدركون أن هناك اختلافات في اللهجات بين القبائل، وكان أحدهم إذا أراد أن ينظم شعراً للمنافسة به في الأسواق نظمه باللغة الأدبية المشتركة بين القبائل، وإذا ما قال شعراً في قبيلته جاء به متفقاً مع لهجتهم وعاداتهم اللغوية.. فتناقضه (أى: الشعر) إلى أن وصل إلى النحاة الذين حكموا عليه بالشدوذ، لأنه مخالف لما عندهم من قواعد، ولأنه كان قليلاً.. ولكن النحاة أسقطوا كثيراً من الأشعار التي وردتهم مخالفة في تركيبها أو حركات الإعراب فيها لما كانت عليه قواعدهم التي أخذت تستقر مأخوذة من لهجات قبائل بعينها) ص - ٣١.

- أقول: إن الشعر للقبائل السبع التي اختيرت لهجاتها لتُمثّل الفصحى - تكاد لهجاتها تخلو من الفروق الكبيرة التي جعلها لهجات مُتباعدة، بل كانت متقاربة جداً.. بينها فروق طفيفة هي التي نجدها في المعاجم وفي كتب النحو: مثلاً.. عندما نجد معجم لسان العرب يقول: (رجل عزب ومِعزابة: لا أهل له. ولا يقال: رجل أعزب، وأجازة بعضهم) فإننا ندرك أن عزبا (لهجة قبيلة (لعلها قريش) وأن أعزب «لهجة قبيلة أخرى». (أما أن «ما» في لغة بني تميم لا تعمل شيئاً، فيقول بنو تميم: «ما زيد قائم».. ولغة أهل الحجاز تُعلمها كعمل «ليس» لشبهها بها في أنها لنفى الحال عند «ما زيد قائم»..)

- شرح ابن عقيل: ٣٠٢/١ - فهذه فروق طفيفة، لا تُباعد بين اللهجتين. وإن كان الواجب اللغوي يقتضى أن نضرب - صفحاً - عن إعراب لهجة بني تميم لكي يستقيم الإعراب على وجه واحد، وإلا.. بطلت قيمته^(١).

(١) انظر كتابي (الرؤية النحوية - ٢ / ٤٧ / ٥٠) ففيه تفصيل لذلك؛ فحركات الإعراب - لها معنى - وبتعددتها على التركيب الواحد أو التعبير الواحد - يبطل هذا المعنى؛ فلا يجوز أن نبطل القانون العام للإعراب.. مقابل جزئيات يمكن اطراحها.

- أما أن اللغة أخذت تستقر مأخوذة من لهجات قبائل بعينها.. فهو عين الصواب. وهى سبع قبائل على رأسها قريش، (وأكثر اللغة من لهجتها). لأن القرآن الكريم نزل على سبعة أحرف، كما قال رسولنا - صلى الله عليه وسلم - أى: وردت «بعض» الكلمات بلهجة، ووردت أخرى بلهجة أخرى، أو ورد فى الكلمة قراءتان أو ثلاث، أى: لهجتان أو ثلاث، وهى قليلة على الإجمال، فإن قراءا يقرأون فى الفاتحة (ملك يوم الدين) وآخرين (مالك يوم الدين) مثلا، وقراءا يقرأون (الحمد لله) بضم الدال وآخرون يقرأون (الحمد لله) بكسر الدال، على الإلتباع، أى: إلتباع حركة الدال لحركة اللام فى لفظ الجلالة، وهكذا.. وهذا لا يُباعد بين اللهجات.

ولولا حصرُ جمع اللغة فى لغة قريش وسَّت قبائل أخرى.. لأصبحت اللغة العربية.. مباينة كثيرا. للغة القرآن. وبهذا.. لا تكون اللغة خادمة للقرآن بل تضحي مباينة له. وعندئذ.. لا يكون اللغويون والنحاة.. قد خدموا القرآن الكريم الذى به الابتداء وبه الانتهاء، فلولا هذا لا انفصل الناس شيئا فشيئا عن القرآن لانفصال لغتهم عنه. ومن هنا.. فالمخلصون للقرآن ينكرون على الذين يتحدثون فى الدين باللهجة العامية. حديثهم بها وهم قادرون على الفصحى ولو مُسكنة - المخلصون.. فى القديم قصرُوا جمع اللغة على اللهجات التى نزل بها القرآن الكريم، فأحسنوا.. والمخلصون اليوم.. ينكرون على القادرين على الحديث بالفصحى أن يتحدثوا عن الدين بالعامية، والله تعالى يقول:

﴿ وَإِنَّهُ لَنَزِيرٌ رَبِّ عَلِيمٍ ﴿١٣٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٣٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٣٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥] فاللسان العربى المبين مطلوب من العلماء، لأنهم ورثة الأنبياء. وقول الكاتب: (فتناقلوه - أى: أبناء اللهجة التى قيل فيها الشعر المفاوق للفصحى - إلى أن وصل إلى النحاة الذين حكموا عليه بالشذوذ، لأنه مخالف لما عندهم من قواعد - قوله هذا غير دقيق، لأنه يصور لك أن هناك مرحلتين: مرحلة.. جمعت فيها اللغة الفصحى، ومرحلة تالية.. ورد على اللغويين والنحويين فيها الشعر المخالف للفصحى لارتباطه باللهجات القبائل، وهذا تصوُّر غير دقيق، لأن القبائل السبع التى أخذت الفصحى من لهجاتها، والقبائل الكثيرة الأخرى التى لم يؤخذ من لهجاتها شيء، لتأثرها بلغات الأعاجم، فى الشمال والشرق والجنوب. - كانت لهجاتها قد وُجدت فى وقت واحد معا، لكن اللغويين والنحويين أطرحوا تلك اللهجات البعيدة عن لغة القرآن.. بدءا،

ولم تَرِدْ عليهم متأخرة. ولم يرد شعر بلهجات القبائل السبع، قيل في كل قبيلة للقبيلة نفسها لا للأسواق الأدبية. فما حكموا عليه بالشذوذ - إذن - لم يكن من لهجات القبائل المطرحة لهجاتها بدءاً، وإنما كان خطأً أو شذوذاً على جمهرة اللّغة في اللّهجات السبع المختارة، وما قول الشاعر:

أن أباهاً وأبا أباهاً قد بلغا في الفخر غاياتها

إلا من الشذوذ الذي وقع في مادة اللّهجات السبع المختارة، إمّا من باب «التظرف» أو تغليب الموسيقى على التركيب اللغوي، مثل قولهم: (أوضح كلام وأخصرهُ) فبنوا (أخصره) على وزن (أوضح)، مع أن الأصل فيها (أكثر اختصاراً)، لأنها من فعل خماسي. والعرب تجيز في الصرف ما لا تجيز مثله في النحو. ولهذا.. قبلت (أخص) ولم تقبل (وأبا أباهاً)، ألا تراهم يقولون في الصرف: (ويُلمُّه) فيجعلون من كلمتين كلمة واحدة، ولكنهم لا يدمجون بين حركتين إعرابيتين، مُكوِّنينَ منهما حركة جديدة؟ ذلك.. لأن الحركة إذا تغيّرت غيّرت المعنى، أمّا التغير الصرفي، مثل الذي سبق، فلا يغير المعنى. بل هو لون من التسهيل الجائز - وليس الشاذ - لأنه صدر عن عرب فصحاء..

- ويقول (حتى إن من كان يستمع إليهم - أي النُحاة الذين قَدِموا إلى حلقة أحد النُحاة وسمعهم فقال: ما لي أراكم تتحدثون في لغتنا بشئٍ ليس من لغتنا. وربما كان هذا هو الذي دفع عبد القاهر الجرجاني إلى إعادة النظر في النُحو الذي هو عنده.. التعليق أو النّظم. والذي يضمّ عنده كذلك المعنى بالإضافة إلى سلامة المبنى. ولو حاولنا استخلاص طريقة لتحليل الجملة في ضوء ما يراه الجرجاني لقلنا: ضرب موسى عيسى، صباحاً أمام المسجد تأديباً له.

«.. عيسى، هو الشخص الذي وقع الضرب عليه. - موسى: هو الشخص الذي أوقع الضرب على عيسى. - الضرب: هو الحدث الذي أوقعه موسى على عيسى. - صباحاً: هو الزمان الذي أوقع موسى فيه الضرب على عيسى. - أمام المسجد: هو المكان الذي أوقع موسى فيه الضرب على عيسى. - تأديباً له: هو الغرض الذي أوقع موسى الضرب له على عيسى.» ص - ٣٤.

- وأقول: هذا.. كلام لا يُسلّمُ به. بل هو فهم خاصّ لمقصد الجرجاني من النظم، ومعاني النحو: وقد أغراه بهذا الكلام الجرجاني عن معاني النحو.

أما أن الأعرابي لم يفهم ما يقوله النحوي.. فأمر بديهى. لأن الأعراب (وساكن المدينة الذى لم يتعلم) يفهم اللغة.. استعمالا، ولكنه لا يفهم مُصطلحات النحو. كما لا يفهم أيضا مُصطلحات البلاغة، أو مُصطلحات العروض. أفنلغى مُصطلحات هذه العلوم التى تُضبط حركتها بها.. لمجرد أن الإنسان العادى لا يُدرك معناها أو المقصود منها؟ إنَّ البديهى أن لكل علم وفن مُصطلحاته، وكونُ الإنسان الذى لم يدرس علما لا يفهم مُصطلحاته - لا يعنى ذلك أن يدفعنا إلى إلغاء مُصطلحات هذا العلم.. الذى لا يثبت ولا ينمو إلا من خلال قواعده وقوانينه التى يضعها العلماء^(١).

- أما عبد القاهر الجرجاني فلم يُعِدَّ النظر فى النحو، ولم يغيّر مُصطلحاته أو يُفكّر فى ذلك - بل لم يكن من أصحاب النحو- أصلا. وإنما استخدم مُصطلحات النحو التى وضعها النحاة قبله كمُصطلحات يعبر من خلالها عن إعجاز النظم فى القرآن الكريم، وعن جمال النظم فى القول البليغ. وتعلّق الكليم بعضها ببعض، لا يعنى إلغاء الإعراب، لغريب أن يفهم رجل يكتب فى اللغة هذا الفهم! وإنما يعنى أنه لا يقع تعلق بين الكلم.. يعقل، أو يكون جميلا، إلا إذا رُتّب الكلام فى النطق، حسب ترتيب المعانى فى النفس. (ص - ٥٦) خذ توضيح الجرجاني لقوله تعالى عن اليهود: ﴿وَلَنَجْذِثَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ وَمَنْ أَلْدِينِ أَشْرَكُوا يَوْمَ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرْسِيٍّ مِنْ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٩٦]. يقول:

- (إذا أنت راجعت نفسك وأذكيت حسك وجدت لهذا التنكير وأن قيل «على حياة» ولم يُقل: (على الحياة) حسنا وروعة ولطف موقع لا يُقادرُ قدره، وتجذك تعدم ذلك مع التعريف، وتخرج عن الأريحية والأنس إلى خلافهما.. ص- ٢٨٨.

- فأنت ترى أن الجرجاني استعان بمصطلحين نحويين هما: التنكير والتعريف، لكى يوضح بهما الجمال فى هذا النظم. فلم يكن جمال (=إعجاز) فى هذا التعبير لولا ورود لفظ الحياة مُنكرًا، أى (حياة)، وليس الحياة.

أهذا الذى ذكره الجرجاني من (التعريف والتنكير) تغيير لمصطلحات النحو، أم - تأكيد لها؟ (ولكن، تأخذ الأبواب منه - على قدر القرائح والفهوم).

(١) - لا شك أن الخليل - رحمه الله - قد بالغ فى تكثير مصطلحات العروض، حتى كان كثير من مصطلحاته لا يحتاجه الشاعر، ولا يصنع شاعرا ممن ليس موهوبا. وقد ولد العروض.. محترقا. فعقد السهل وقريب من العروض كثرة مصطلحات البلاغة، وعدم جدواها فى تعليم البلاغة. أما النحو.. فشىء مختلف جدا، إذ لا يكاد يستغنى عنه أديب، أو كاتب.

أما توضيح الكاتب لجملة (ضَرَبَ موسى عيسى ، صباحا أمام المسجد تأديبا له) فهو توضيح للمعنى وليس إعرابا، لأن الإعراب يجب أن يتضمن الإشارة إلى الحركات.. رفعا ونصبا وجرا وجزما. وإلا.. فكيف نعرف أن ها هنا كلمة مرفوعة وكلمة منصوبة وكلمة مجرورة وكلمة مجزومة ؟

- أما ظن الكاتب أن الجرجاني أراد أن تكون الجملة على غرار الجملة التي ذكرها (الكاتب) - فهو نقيض - منهج الجرجاني، لأن الجرجاني رأى أن البلاغة هي في ترتب الألفاظ في النطق حسب ترتيب المعانى فى النفس، ولهذا.. لا يمكن أن يُضاهي قولنا(حياة لكم فى القصاص).. قول الله تعالى، وقوله الحق: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٧٩) ذلك «بسبب الفارق فى - التقديم والتأخير - الذى اهتم به عبد القاهر كثيرا. واهتمامه بالتقديم والتأخير. يعنى أنه يرى بلاغة عالية فى التقديم والتأخير، على شرط أن يقع موقعه. الجرجاني كان ما رآه توضيحا لبلاغة الكلام. أما مثال الكاتب «فَعِيٌّ من الكلام.

- عبد القاهر.. استعان بمصطلحات النحو فى تحديد البلاغة فى النظم: بم تكون؟ أ بالتقديم أم بالتأخير، أ بالتعريف أم بالتنكير، أ بالأفراد أم بالثنائية أم بالجمع؟.. أستعان كما يُستعان بمصطلحات البلاغة فى باب المجاز، وباب البديع، دون أن يخطر بباله تغييرا لأى مُصطلح نحوى. وبديهى أن إعرابنا للآية السابقة ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٧٩) « ليس له أى تعلق بالبلاغة، وإنما البلاغة تأتى من نظم الكَلِم بطريقة مخصوصة متفككة مع ترتيب المعانى فى النفس. فليس كل تقديم يؤدى إلى بلاغة، وليس كل تنكير يؤدى إلى بلاغة، وليس كل أفراد أو ثنائية أو جمع يؤدى إلى بلاغة. بل هذه وأمثالها تؤدى إلى بلاغة إذا وقعت مواقعها فى النظم المتسق مع مواقعها فى النفس. ولكنها تؤدى إلى خلل فى التعبير ورداءة إذا لم تقع فى النظم كما وقع ترتيبها فى النفس^(١).

- ومن هنا.. فقد تكون البلاغة العالية فى نظم الكلام (ترتيبه) حسب الترتيب البسيط، أى: يأتى فِعْلٌ ثم فاعلٌ ثم مفعول به. وقد تكون فى نظمه بطريقة يقع فيها

(١) من الطريف أن أستاذ الحديث، وأنا طالب فى الجامعة - دمشق - سنة ١٩٦٤م كان فصيحا، فوكلت الجامعة له تدريس مادة - النقد - فكانه قرأ من أجل ذلك كتابا لناقد غربى مهووس يرى أن الشعر لا يستقيم إلا (بالصون) فكان يملئ علينا ذلك !! - ومن المعلوم أن الشعر الجيد قد يكون بالصور - وبغير الصور - وأن بعض الشعر المبني على الصورة عندما لا تقع موقعها ردى. والأستاذ هو المرحوم الدكتور صبحى الصالح.

التقديم والتأخير. فإذا قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ﴾ (النصر: ١) فإن الكلام ترتب ترتيباً بسيطاً: الشرط (إذا) ثم الفعل (جاء) ثم الفاعل (نَصْرُ اللَّهِ). ثم جاء الجواب: فسَبِّحْ، فهذا ترتيب بسيط ولكنه في الغاية من الروعة، أولاً - لأن هذا الترتيب البسيط جرى على أساس تساوق المعاني وترتيب - تأثيرها - في النفس (ترتيب تأثيرها لأن الكلام ليس نابعا من النفس البشرية وإنما هو كلام الله تعالى). وثانياً - لأن الله تعالى أضاف النَّصْرَ إلى نفسه مما أعطى الكلام شرفاً ليس له لو قيل: (إذا جاء النصر والفتح)، ولأنه تعالى لم يُضَفْ (الفتح) إلى نفسه مباشرة، مما يؤدي إلى تكرار غير ضروري، فليس مما يحسن أن يقال: (إذا جاء نصر الله وفتح الله) بل إن العظمة جاءت من إيراد الألف واللام في كلمة (الفتح) التي سَدَّتْ مسد الإضافة، أي: الفتح المعهود الذين تشاهدونه عن طريق انثيال الوفود الراغبة في الإسلام.. إلى المدينة المنورة انثيالاً. ثم.. كانت العظمة تأخير الجواب، فقد فصل بين جملة (إذا جاء..) والجواب جملة أخرى معطوفة عليها وهي ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ﴾ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾ ثم جاء الجواب: «فسَبِّحْ...» ولكن قال تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الَّذِينَ فَلَا تُمُونُ إِلَّا وَآثَرُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة: ١٣٢] فأخّر يعقوب - عليه السلام - وهو فاعل إبراهيم - عليه السلام - أخره بعد المفعول^(١) (= بنيه).. فبذلك بانّت مزية النظم: إذ لو قيل: (ووصى بها إبراهيم ويعقوب بنيهما) لكان في التعبير غمط لحق إبراهيم. فإبراهيم الأنبياء ويعقوب.. حفيده. فليس من حفظ المقامات أن يتبع يعقوب إبراهيم مباشرة، وإنما من حفظ المقامات أن يؤخر الحفيد بعد المفعول به، وبعد أن يتم المعنى، وأن يقدم الجد قبل المفعول به. وهكذا.. يكون التعبير.. عادلاً، لأنه وضع كلا من الرجلين في موضعه. ومن هنا جاء جمال التعبير، لأنه اتبع منهج العدل.. والعدل.. جمال لا يعلوه جمال. رأيت أن التزام التعبير البسيط في سورة (النصر) كان سبب الجمال والروعة. وأن التقديم والتأخير في آية (البقرة) كان سبب الجمال والروعة - لأن كلا من التعبيرين وقع موقعه الملائم؟

(١) فضلت أن أكتفى بكلمة (المفعول) من غير أن يلحقها (به) - لأن اصطلاح النُحاة هذا ليس دقيقاً، (فالمفعول به) هو الذي يُفَعَّلُ به، فإذا قيل: (سَفَدَ ذَكَرُ الْحَمَامِ الْحَمَامَةَ) كانت الحمامة (مفعولاً به) - حقاً. أما إذا قيل: قطف المزارع الثمر/ (فالثمر) ليس مفعولاً به، وإنما هو (مفعول) فحسب. (انظر: الرؤى النحوية- ٣/ ٧٣-٧٥). - فيه تفصيل.

- ويقول الدكتور عميرة: (الاقتصار في تقعيد اللغة وتقنينها على اللغة المكتوبة بينما الأصل في اللغة أن تكون منطوقة، وباللغة يستطيع المتكلم أن يعبر بتركيب جُملي واحد عن معانٍ متعددة. ولما كان النُحاة قد أهملوا في تقعيد القواعد كل ما يتعلق بالنبر والتنغيم، نتيجة اعتمادها على اللغة المكتوبة، فإننا لا نجد لهذين العنصرين اللذين أخذنا يبرزان بوضوح في الدراسات اللغوية المعاصرة، وبخاصة في الغرب/ لا نجد لهما أثراً عند نُحاة العرب إلا فيما يتعلق بالاستفهام محذوف الأداة..) ص - ٣٤.

أقول: أرجو ألا نقلد الغرب في كل شيء حتى لو دخلوا جُحر ضبَّ خرب.. دخلناه للأسباب الثلاثة الآتية:

الأول: أن العرب أساساً اعتمدوا على اللغة المنطوقة (لا كما يقول المؤلف) لأن الكتابة، أصلاً، كانت شِبْهَ معدومة عند العرب قبل الإسلام. ومن المعروف أن اللغويين جمعوا معظم اللغة من الفُصحاء في المدن والبادية، من خلال المشافهة.

والثاني: أن الغربي يلجأ إلى - التنغيم - للتمييز بين معنى وآخر للتركيب الواحد، لأن اللغة الإنجليزية - مثلاً - لغة نمطية أي: جامدة التركيب.. غالباً، فليس أمام الغربي إلا التنغيم ليَجعل الجملة الواحدة تعبر عن غير معنى واحد. أما العربي فأمامه للتعبير الواحد أكثر من صياغة واحدة، وذلك.. يجعله يستغنى بتنوع الصياغة عن تنوع التنغيم. ولا شك أن جُمود التعبير وتنوع التنغيم قصور في اللغة، وأن تنوع الصياغة للتعبير الواحد يُعد غنى في اللغة، عندما يعبر كل تنوع عن ظلال للمعنى تختلف عما في الوضع الآخر.

خذ مثلاً في الإنجليزية هذه الجملة:

If Jim hadn,t Lent me the money, I wouldn,t have been able to buy the car.

فأنت لا تستطيع أن تقدم (Jim) على (If) ولا (hadn,t) على (Jim) ولا (the money) على ما سبق ولا (to buy the car) على (I wouldn,t).

بينما كل هذا.. ممكن في العربية، نقول: «إذا - جم - لم يقرضني النقود.. فلن أكون قادراً على شراء السيارة، ونقول:.. إذا لم يقرضني جم.. أو.. جم إذا لم يقرضني.. أو.. النقود إذا لم يقرضنيها جم فلن أكون قادراً على شراء السيارة، أو - النقود، إذا لم يقرضنيها جم - فعلى شراء السيارة.. لن أكون قادراً.

أهذه اللغة التي هي بهذه المرونة الفائقة.. أفى حاجة إلى أن تعتمد التنغيم؟ ثم.. إن كل تغيير فى التعبير يؤدي إلى تغيير فى المعنى، حسب نظرية عبد القاهر الجرجاني في - النظم - أى: تغيير ترتيب الألفاظ فى العبارة، هو التغيير فى التعبير.

والثالث: أن التنغيم المتنوع للعبارة الواحدة فى الإنجليزية.. جعل فيها شرخا بين المنطوق والمكتوب لا يمكن رآبهُ، لأن حروف كثير من الكلمات جاءت بناء على تنغيم واحد، وأضحى مفارقة لأنواع التنغيم الأخرى للكلمة نفسها، ولكى يتغلب الإنجليز والأمريكان على ذلك.. يحاولون أن يكتبوا الكلمة فى معاجمهم مرتين: مرة.. تبعا للصورة التى كانت عليها الكتابة، أيام كانت تنطق نطقا معيناً قبل عدة قرون. ومرة.. بين قوسين تبعا لما تطور له النطق فى الحاضر، خذ مثلا.. (Emulate) ومعناها: تَسَبُّه به لفظها المكتوب (أميوليت)، ولكنها تلفظ هكذا، كما كتبت بين شرطتين /Emuleit/!! ولفظها: إمجوليت، ولفظها الحرفى (أميولاتى)!!.

-هم واقعون فى (حَيْصَ بَيْصَ)، يعزُّ عليهم أن يَطْرَحُوا الخط القديم وأن يكتبوها كما ينطقونها، حسب الحروف التى بين شرطتين. وهم غير قادرين على إعادة أصواتهم كما كانوا عليه من قبل قرون أو عقود!

- ونحن ننتطق كما نكتب - على الإجمال - ونكتب كما ننتطق، بفضل القرآن الكريم- الذى أحدُ علومه، وهو علم التجويد، حفظ الصوت العربى نقيا فى الفصحى كما كان فى الجاهلية، وكما نزل به القرآن الكريم على قلب رسولنا - محمد صلى الله عليه وسلم - ينطقه بلسانه الشريف الذى أخذه عنه الصحابة - رضى الله عنهم - بالمشافهة. وهكذا، ينتقل صوت الحروف من جيل إلى جيل بالمشافهة حتى يوم الناس هذا.. بل حتى يرث الله تعالى الأرض ومن عليها، دون تحريف.

- أنعدل - إذن - عن تنوع التعبير إلى التنغيم، لأن الغرب ينغم، والتنويع باقٍ ثابت ومن طبيعة لغتنا، والتنغيم متغير لا يستقر على حال، مما يجعل اللغة تنتقل، مع الزمن إلى لغة أخرى، أصواتا وحروفا؟ - التنغيم.. مُتغير، لأنَّ منحنى الصوت يتغير، حسب البيئة والظروف، وطبيعة الحياة.. فيتغير الصوت، وتتغير اللغة، أو تنحرف عن أصولها، وهذا.. نجت منه العربية - لغة القرآن.. ثم.. أنتبع تنغيم الجزيرة العربية، على تعددة، أم مطَّ الصوت الشامى أم خطفه فى اللهجة المصرية، أم انحباسه ثم اندفاعه فى المغربية؟ أم تُحمَل كل هذه البيئات على تنغيم أهل مكة فنكلفهم ما لا يُطاق؟

- ويقول: (ولعل في هذا.. ما يفسر لنا بوضوح اتساق لغة - أكلوني البراغيث - مع اللغة العربية السليمة. ولا يحول دون قبولها، مع كثرتها في كتب التراث، ومع وجودها في القرآن الكريم وفي الحديث الشريف، يقول تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنبياء: ٣].
 وجاء في الحديث: «يتعاقبون فيكم - ملائكة بالليل وملائكة بالنهار» ص - ١٩٢.
 - وأقول: أولا لم يأتِ الكاتب بجواب: (ولا يحول دون قبولها، مع ..). وهو غالبا.. إلا لأن النُحاة اعتبروها شاذة ساقطة.

وثانيا: خلط الكاتب بين نوعين من الاستعمال: الأول - (أكلوني البراغيث). والثاني: «وأسروا النجوى الذين ظلموا».

فعبارة (أكلوني البراغيث) تختلف اختلافا جوهريا عن عبارة القرآن: لأن (البراغيث) لا يستعمل معها (واو الجماعة) عادةً، كما لا تستعمل مع كل جمع مذكر لغير العقلاء إلا لغاية البلاغة، وإنما تستعمل مع العقلاء فقط. - وهنا نقول: لا يجوز أن أقول: (أكلوني - اللصوص) قياسا على الآية السابقة بدون غاية بلاغية، أما الآية فاستعمالها صحيح، لأن (الواو) تردُ مع العقلاء (الذين ظلموا)، ولأنها جاءت لغاية بلاغية.

- بيد أني لا أوافق الكاتب إذ يقول: (فما كانت الواو في «وأكلوني البراغيث» إلا لتوكيد الفاعل) ص: ١٩٣ - بعد أن أجرى عددا من صور التحويل على العبارة التي تبدأ بقوله: (أكل البراغيثُ هم إياي) - أقول: لأن التوكيد لم يرد في اللغة سابقا المؤكّد - بفتح الكاف - وتحويلات هذه - إلى خطئها - أكثر تعقيدا من (علل النحو) التي اعترض هو عليها. يقول المؤلف: (فتكون الجملة التوليدية التي تتضمن المعنى القريب (أكل البراغيثُ إياي) - VSO - تتحول إلى: (أكل البراغيثُ البراغيثُ إياي VSSO - (أو: (أكل البراغيثُ إياي)، فالتحق الضمير بالفعل، ولكن برسم آخر، وهو - الواو - التي هي لاحقة تعبر عن (البراغيثُ إياي)، ثم جرى في الجملة تحويل آخر، طبقا لقواعد النحو التحويلي، فأصبحت: (أكلوني البراغيثُ) بإضافة نون الوقاية التي لها وظيفة صوتية نصّ عليها علماء العرب في كثير من أعمالهم، فما كانت الواو إلا لتوكيد الفاعل في هذه اللهجة) ص - ١٩٢.

- بالله عليك: هل صحيح أن ذهن العربي الأُمّي يتسع لكل هذه التحويلات المعقدة؟ وإذا اتسع.. أتظن أن أحدا يطبق أن يتعلم لغة، بعض عباراتها تمرّ بكل هذا التعقيد،

ولو كان هذا الأحد هو الخليل ابن أحمد الفراهيدي في القديم.. صاحب العقل الرياضي العبقري، أو أنشتاين في الحديث.. صاحب النظرية النسبية؟! - بلى، لا أوافق، لأن التوكيد لم يرد سابقا للمؤكد - كما أسلفنا- ولأن الواضح لا يؤكد بالفامض. إن الضمير غامض والاسم واضح، فلا يمكن أن يؤكد الضمير (=الواو) الاسم الظاهر.

- والحق عندى أن (البراغيث) فى هذه العبارة هى (خبير) لمبتدأ محذوف (فى نحو اللّغة) تقديره: (هى)، فعندما قال: (أكلونى).. تنبه إلى أن العبارة غامضة أى: أخصُ البراغيث: البراغيث.. أى هى البراغيث، أو جاءت - البراغيث - للتوكيد، أو هى منصوبة على الاختصاص.

أما لماذا لا تصح الواو مع البراغيث أصلا، عندما تُستعمل استعمالا حقيقيا، ولا يصح هذا النوع من الاستعمال، لغة معتمدة.. وإنما صحت هنا؟ فذلك.. لأن الأعرابى استعمل الواو استعمالا - مجازيا - (من باب الاستعارة التصريحية)، فلما أكثر البراغيث لدغهُ كبرت فى إحساسه حتى تصورها رجالا يُقرصونه، فقال ملهوجا: (أكلونى) ثم تنبه أن ليس من رجال، فأردف: البراغيث، أى: هى البراغيث، أو - أخصُ البراغيث، ومع أن هذا التحليل طويل فى الكلام « غير أن العبارة الأصلية والجواب يلmean فى ذهنه فى طرفه عين».

- وقريب من هذا التعبير ما ورد فى القرآن الكريم، قال تعالى عن الكافرين: ﴿ وَقَالُوا لِمَ لُجُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [فصلت: ٢١] - فلم يقولوا: (لم شهدت؟)

وإنما خاطبوا خطاب العقلاء، لأن الله تعالى أنطقها.. فشهدت عليهم، فصارت فى شعور الكافرين عاقلة. والبراغيث.. تصرفت تصرف العقلاء الأعداء، فأكثرت من تقريص هذا الأعرابى الذى لا عهد له بالبراغيث، فتصخمت مشاعره بها، فشكا ما أصابه منها، وكأنه يشكو من رجال اعتدوا عليه بالضرب أو بالتقريص.

- ومن حيثُ شخصنة غير المشخصن أصلا، وتحويله إلى عاقل يخاطب (سواء أ جاء مفردا - أم جاء جمعا) - لا يختلف قول الأعرابى هذا عن قول ابنة طريف التى تضخم فى وجدانها الحزين الحساس أشجارُ الخابور، فأحسّت أنها أحياء عاقلة، ولذا عتبت على

هذه الأشجار التي لم تُسقط أوراقها، حُزنا على أخيها - ابن طريف، الذي قُتل في معركة من المعارك، قالت: (فيا شجر الخابور)، فشخصنته، وأعطته سمة العقلاء، وما ينتظر من العقلاء، من تعاطفٍ، تعاطف بعضهم مع بعض، ومواساة بعضهم لبعض.

قالت (فيا شجر الخابور - مالك مورقا كأنك لم تجزّع على ابن طريف!).
- إذن.. القضية هي قضية بلاغية أصلا، وليست قضية لغوية، ومع ذلك.. فصدر اللّغة يتّسع لمثل هذه التغييرات اللغوية التي تقتضيها حاجات بلاغية، لأنّ اللّغة ذات منطِق مَرْن، فهي (أى اللّغة العربية) تعى أن دورها الحقيقي - الوظيفي أن تعبّر عن معاني العقل، وعن خلجات النّفس، ولهذا.. فهي ترى من وظيفتها وواجبها أن تكون مُستعدة للتعبير عن كِلا وجهى حياة الإنسان. أما تراها اتسعت للتعبير عن العقل الكلي والوجدان الكلي - المتمثّلين فى القرآن الكريم - أولا، وفى الحديث النبوى الشريف - ثانيا - أبلغّ تعبير وأدقّ تعبير، فكان التعبير فى القرآن مُعجزا، وفى الحديث النبوى، بلاغة تنزل دونها بلاغة الشعراء والبلغاء^(١)؟

- والآن - أظن أنه قد وضح أن عبارة القرآن: «أسروا النّجوى - الذين ظلموا» وعبارة الحديث: «يتعاقبون فيكم - ملائكة بالليل وملائكة النهار»، تختلف عن عبارة (أكلوني البراغيث) اختلافا جوهريا.. فالعبارتان لغة معترف بها، لأنّ (الواو) فى (أسروا) هى واو الجماعة قد استعملت على وجهها، ولأنّ عبارة (الذين ظلموا) هى خبر لمبتدأ محذوف هو (هم) أى: جاء الضمير (هم) جوابا لسؤال مقدر ولازم: (من هم الذين أسروا النّجوى؟) والجواب: «هم» أو هى توكيد، أو فى محل نصب على الاختصاص).

- ومثلها تماما عبارة الحديث: (ملائكة بالليل وملائكة بالنهار) فهى خبر لمبتدأ محذوف جاء جوابا مُقدّرا لسؤال مُقدّر وهو: (من هم الذين يتعاقبون؟) - وأما (الواو) فى (أسروا) وفى (يتعاقبون).. فهى ضمير متصل فى محل رفع فاعل. أو هى توكيد، أو منصوب على الاختصاص.

- وكما ترى.. فإنه يجوز إعرابان ضعيفان لكل من (البراغيث/ الذين ظلموا/ ملائكة بالليل) الأول - هو البديل، فالبراغيث.. بدل من الواو - والذين.. بدل من الواو - و(وملائكة) بدل من الواو. وكلها.. بدل مطابق. والإعراب الثانى: النّصب على - الاختصاص - أى:

(١) فى كتابى (منابع الشعر، ومكانة الشاعر) - استخلصت إحدى عشرة - خاصة: يتفوق فيها الحديث الشريف على أجود الشعر (ص - ٧٠ - ٧٥).

أكلوني (أعنى البراغيث)، و«أسرّوا النّجوى» (أعنى: الذين ظلموا) ثم.. يتعاقبون فيكم (أعنى: ملائكة بالليل). مع وجوب حذف الفعل (أعنى) في اللفظ، إنما هو يذكر تقديرا، شأنه دائما مع النصب على الاختصاص، أى - مع نصب الاسم المخصوص.

- أما «ثم عموا وسموا - كثير منهم» فهي مختلفة ومُتَّفَقة مع «وأسرّوا النجوى..» لأنّ (كثير) هي بدل بعض من كل، أى: هى بدل من الواو فى (عموا) وفى (سموا)، لأنك لا تجدها جوابا مكافئا لسؤالك: من هم الذين عموا وسموا؟ إذ لا يصح أن يكون الجواب كثيرا منهم، وإنما جواب السؤال هو: هم بنو إسرائيل، فتأكد بذلك بديلة (كثير منهم). والله تعالى أعلم.

ملاحظات لغوية:

فى الصّفحات السابقة ناقشنا أفكارا لغوية، وآلآن نناقش بعض الاستعمالات اللغوية التى جانبها الصّواب، وهى:

١ - يقول الكاتب: (ولكننى كنت أنتظر لحظة منه لأفرغ لذوى الحقوق شيئا من حقوقهم) ص ٨.

- وأعتقد أن كلمة (لأفرغ) استعملت فى غير موضعها، والصواب مكانها (لأقدم) لذوى الحقوق شيئا من حقوقهم). أو أن كلمة سقطت، وهى (لإعطاء) - ذوى الحقوق...-

٢ - ويقول: (وإنما استخدم [مصطلح علم اللّغة] ليُشير إلى البحث فى أصل اللّغة ونشأتها وما إن كانت توقيفا أو اصطلاحا أو تقليدا ومحاكاة) ص - ١٥.

- وأقول: إن (إن) هذه شرطية، ولا معنى للشرط هنا.. ولذلك فالصواب أن يقال: (ليشير إلى البحث فى أصل اللّغة ونشأتها.. أكانت توقيفا أم اصطلاحا أم كانت تقليدا ومحاكاة؟ أى: الصواب.. استعمال الاستفهام، أما الشرط.. فلا شرط هنا، وإلا.. فإذا كان يصح الشرط- هنا - وفعله هو (كانت).. فأين جوابه ولو تقديرا؟ إن هذا استعمال خاطئ يُستعمل كثيرا فى العصر الحاضر.

٣ - ويقول: (ولكن أحدا من هذين لم يشرح معنى مصطلح فقه اللّغة) ص - ١٧.

- يدلّك على خطأ هذا التعبير أن تكمل بعده: (ولكن شَرَحَهُ الآخَر). والصواب:

(ولكن هذين الرجلين لم يشرح أيّ منهما معنى مصطلح فقه اللّغة) هذا التعبير. ينفى الشرح عن (من كل منهما)، أى: ينفيه منهما الاثنین، ولكن تعبير الكاتب ينفى الشرح من أحدهما، ولذا.. ويجوز أن يكون وقع من الآخر.

٤ - ويقول: (ويعتمد هذا البعد على أن الوحدات التي تكون اللّغة تكتسب قيمتها الدلالية اللغوية بتمييزها عن بعضها، اعتمادا على ما فيها من فروق) ص - ٤١.

أقول - والخلل فى (عن بعضها) والصواب (بتمييزها.. بعضها عن بعض) لأن معنى (بتمييزها عن بعضها) (بتمييزها كلها عن بعضها)، وليس هذا هو المعنى، بل المعنى.. بتمييز كل واحد منها عن الآحاد الأخرى، أو بتمييز بعض الوحدات عن الوحدات الأخرى.

٥ - ويقول: (كتب كتابه الذى اشتهر به وعُرف كما لو لم يكتب غيره) ص ٤٢.
أقول - معروف أن (لو) لها معنيان فى العربية ليس غير.. الأول - أنها للشرط، مثل: لو اجتهدت لنجحت. أو: ﴿لَوْ كَانَ فِيهَا إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسَبَّحَنَّا اللَّهَ رَبَّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

والثانى - التمنى، ومثاله: ﴿وَدُّوا لَوْ يُدْرِكُنَّ فَيَذَرُوهُنَّ﴾ [القلم: ٩]، فهل (لو) عند الدكتور المؤلف لها أحد هذين المعنيين؟ طبعا، لا. وإنما استعمالها عنده هو ترجمة لتعبير إنجليزي. وصواب التعبير هو: (كأنه لم يكتب غيره).

٦ - ويقول: (ونرى أن فى بعض هذه الأسس أو الجوانب غموض وتعميم) ص ٦٨.
- الصواب: (غموضا وتعميما)، لأن (غموضا) هى اسم (أَنْ) مؤخر، و(تعميما) معطوف عليه. وقد يكون خطأ فى الطباعة.

٧ - ويقول: (فيمّا هو واضح من الأمثلة السابقة.. أن الترتيب أمر يُراد به سرا من أسرار العربية) ص - ٩٢.

والصواب: (يسر) لأنه نائب فاعل للفعل المبني للمجهول (يُراد). والله تعالى أعلم.
انتهى القسم الأول - نحمد الله تعالى على - ما - من به علينا.